دخان بلا نار
نار بلا نور!

لا أصعب من أن تكون شاهدا غير مدعو للادلاء بشهادته. ولا اصعب من ان تدلي بشهادتك للخواء .. لا قضاة لا محلفون .. ولا دفاع. النيابة وحدها تتكلم. النيابة تطالب بانزال اقصى العقوبات. النيابة تصدر الحكم وتتخذ الاجراءات على هواها. اما انت فالشاهد الضحية، الشاهد غير المدعو، الشهادة الخواء.

لا اصعب من ان تكون فلسطينيا امام محكمة الرأي الدولية .. تشهد جريمة اغتيالك لحظة بلحظة وجرحا بجرح وتصرخ الما فلا تسمع سوى صرخة التشفي القادمة من منصة النيابة. النيابة وحدها تتكلم. ووحدها تحدد العقاب ووحدها تختار صيغة موتك مرة اخرى.

وبغض النظر عن مصادر الصعوبة، بغض النظر عن فضائح الاعلام العربي التي قدمت رأسنا للاعلام الصهيوني، على طبق من فضة الوهم وذهب الرعونة، بغض النظر عن ضلوع الاعلام الغربي الرسمي في خدمة الدعوى الاسرائيلية، بغض النظر عن كل هذا فانه يظل من حقنا ان ندهش ازاء الحصيلة النهائية التي تطرحنا على جدول ابحاث العالم باعتبارنا مخربين ارهابيين غير مرغوب فيهم.

كان من حقنا ان نبتلع السنتنا دهشة في غمرة عدوان الخامس

من حزيران ١٩٦٧ يوم حققت اسرائيل نجاحا باهرا في الظهور بمظهر الضحية بينما هي تمارس مهنة الجلاد في ابشع صورها.

آنذاك تدفق "المتطوعون" الاوروبيون "لحماية" اسرائيل من "العرب الموشكين على القائها في البحر" بينما تمتد اذرعة اسرائيل "المسكينة" بكل ما اوتيت من فولاذ وجشع ترابي، لتسحق القوة العسكرية العربية "الجبارة".. وتنشر ظلها الثقيل فوق مزيد من الارض السائبة.

وانذاك كان الاعلام الاسرائيلي متالقا في دور الحمل على مسرح الاحداث الامر الذي بلبل كتيبة باكملها من رجال الفن والفكر في العالم، لا سيما اولئك الذين كان لهم قسط ملحوظ في معارك الدفاع عن حرية الانسان وكرامته من امثال جان بول سارتر وجون بابيز وجين فوندا وايف مونتان وغيرهم من الاعضاء البارزين في نادي سقوط الشرف الانساني، وراء ستار من دخان الدفاع عن الشرف الانساني.

قل لي يا فرعون، من فرعنك؟

ها هم ناشر الحكم في اسرائيل على دين ملوكهم في واشنطن. فالولايات المتحدة التي فرعنها عربها فاخذت تكيل لهم الاهانات بمناسبة وبلا مناسبة هي المثل الاعلى لمريديها واتباعها في اسرائيل.

واذا كانت واشنطن قد "شلطت" على العرب وعلى الرأي العام العالمي وعلى رجال الفن والفكر، فلماذا لا "تشلط" اسرائيل ايضا؟

لقد شاهدنا هذا "التشليط" الاسرائيلي قبل ايام حين اتضح ان القوم ما عادوا بحاجة الى ستار الدخان الاعلامي فالقوا على ميكيس ثيودوراكيس قنبلة من الدخان وهو في "حرم" هيكل الثقافة التل ابيبي.

ستار من الدخان، ودخان بلا نار، هذا هو الاعلام الاسرائيلي القديم. اما جديده فهو نار بلا نور. نار تحرق اصابع مشعليها ولا تتيح منفذا لوجه الحقيقة.

وماذا نحن فاعلون؟ ماذا سنقول لميكيس ثيودوراكيس الذي رفض تسجيل اسمه في قائمة اعضاء النادي اياه، نادي سقوط الشرف؟ وماذا سنقول لرجال الفكر والفن في هذا العالم الكبير والمبلبل؟ كيف نضمن لانفسنا مكانا لائقا على منصة الشهادة؟ متى نجُرُ العالم من انفه ونرغمه على التمييز بين الضحية والجلاد؟ متى؟ كيف؟ اين؟